**المحاضرة الأولى**

النقد العربي مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب

**أ ـ مفهوم النقد :**

النقد الأدبي مصطلح يختص به العلم الذي ينهض على دراسة الأعمال الأدبية بالتحليل والتقييم والتقويم.

وقد وردت كلمة (نقد) في اللغة مقترنة بعدة معاني كما يبيّن (لسان العرب) لابن منظور وهي كالآتي:

* نقد الدراهم، بمعنى تمييز جيّدها من رديئها، قصد إخراج المزيف من الأصلي. قال ابن منظور: ''والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، أنشد سبويه:

تنفي يداها الحصى، في كل هاجرة، نفي الدنانير تنقاد الصياريف''

ونقدت له الدراهم أي أعطيته فانتقدها أي قبضها. ونقدت الدراهم وانتقدتها إذا أخرجت منها الزيف''.

(ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، م3، حرف الدال، ص: 435.)

* التمييز واختلاس النظر والمناقشة. قال ابن منظور أيضا: ''ونقد الرجل الشيء بنظره ينقده نقدا ونقد إليه: اختلس النظر نحوه... والإنسان ينقد الشيء بعينه، وهو مخالسة النظر لئلا يفطن له.''

(ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، م3، حرف الدال، ص: 436).

* نقد الحب والتقاطه. جاء في (لسان العرب): ''ونقد الطائر الفخ ينقده بمنقاره، أي ينقره...

(ابن منظور: لسان العرب، م3، حرف الدال، ص: 436.)

* تتبع عيوب الناس واغتيابهم. جاء في (لسان العرب): ''وفي حديث أبي الدرداء أنه قال: إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك، معنى نقدتهم أي عبتهم واغتبتهم، قابلوك بمثله''.

(ابن منظور: لسان العرب، م3، حرف الدال، ص: 436).

فالمدلول اللغوي للكلمة يدور حول التمييز والفحص وكشف العيوب.

وأما اصطلاحا فنلاحظ أن مفهوم الكلمة لم يبتعد كثيرا عن معناها اللغوي من حيث أنها ملكة تمييز جيد الشعر من رديئه، والقدرة على تحليل العمل الأدبي، وتقدير ما له من قيمة فنية ونواحي جمالية.

كما تستعمل كلمة نقد بمفاهيم متعددة منها: معرفة الأثر الأدبي، والحكم عليه وفهمه وتفسيره، ومحاولة تقديره التقدير الصحيح، لبيان قيمته ودرجته بالنسبة لسواه وتذوقه. كما يعرف بأنه ''فن دراسة الأساليب وتمييزها''، وتذوق النصوص ودراستها والحكم على ما تتضمنه من قيم فنية وفكرية، بالاستعانة بالمنهج المناسب.

أما صاحب الحكم فيصطلح عليه بكلمة (الناقد). وهو شخصية توفرت فيها شروط معينة أهلتها لقراءة العمل الأدبي والحكم عليه، كأن يكون ثاقب النظر، صاحب ثقافة، مطلعا على علوم عصره ومعارفه، وأن يتصف بالعدل والإنصاف.

ويختلف النقد بمعاييره وأحكامه باختلاف الفن الذي يحكّمه، والمجال الذي يشتغل فيه، وبقدر التزام الناقد بالمعايير الموضوعية والأسس المنهجية وبالعلمية. فالنقد درجتان، تقد بنّاء يقدم الحكم مرتبطا بالحجة، غايته التقويم والتصويب والإشادة بموضع الحسن والجمال، أو الإشارة إلى مواطن العيب والخلل في العمل الأدبي. ونقد هدّام غايته التشويه والإنقاص، والنيل من الأعمال الأدبية، قصد النيل من أصحابها.

**ب- تطوره:**

بدأ النقد العربي تأثريا يعتمد على الانطباع الذاتي البحت. يفتقر إلى أسس نظرية، لأنه يصدر عن انفعال خاص، ويحتكم إلى الإحساس والانفعال، يصدر أحكامه على العمل الأدبي دون تعليل واضح.

وأما الذي مكّن الجاهليين من ذلك فهو ارتباطهم بالشعر وامتلاكهم ملكة لغوية وإحساس رفيع بالكلمة، فإذا استعمل الشاعر الكلمة في غير موضعها أو بخلاف الدلالة المرجوّة منها تنبه السامع له، فيوجه له النقد بما تجود به قريحته.

ثم جاء العصر الإسلامي، فتبدل النقد بتبدل الشعر، وانصراف الأذواق إلى الدين الجديد، والحياة الجديدة، بعد أن طرأت عليه عوامل سارت به نحو مواضيع جديدة وقوالب تعبيرية مغايرة. ووجد متلقوه ومتذوقوه أنفسهم يغيّرون النظرة إليه، ويسايرون ما أصابه من تبدل بتبدل أذواقهم هم أيضا. تبدلٌ غيّر نظرتهم إليه ومواقفهم منه. فبرز نقد يتخذ من موقف النبي صلى الله عليه وسلم، وموقف أصحابه من الشعر مثالا ونموذجا. فقد دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه لتمثل المعاني الإسلامية في أشعارهم، ليكون معينا للدعوة.

ولكن رغم التبدل الذي مسّ النقد، فإنه ظل مراوحا لمكانه من حيث اقتصاره على الملاحظة، والرأي المباشر الخاضع للشعور والانفعال. ولهذا أسبابه وعوامله، وفي مقدمتها الاهتمام بالدين الجديد وبالحياة الجديدة.

ولما تقدم القرن الأول، وقويت نهضة الشعر في العصر الأموي، وذلك في ثلاث بيئات: (الحجاز، العراق، الشام)، اتجه النقد بشكل بارز إلى التفضيل بين الشعراء، خاصة بين جرير والأخطل والفرزدق. وقد كان لهؤلاء نصيبا كبيرا من ملاحظات المتلقين ومتذوقي الشعر على اختلاف طبقاتهم (حكام، أمراء، شعراء، عامة الناس ممن يتذوقون الشعر).

وظهر في هذه البيئة –أيضا- نقد ظريف صدر عن شخصيات متنوعة المكانة منهم: ابن أبي عتيق (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق)، السيدة سكينة بنت الحسين بن علي، عبد الملك بن مروان وغيرهم كالشعراء أمثال جرير.

لكنه ظل قريبا مما كان عليه في الجاهلية، من حيث قيامه على الذوق والجزئية في كثير من الأحيان. فعلى الرغم من أن هذا النقد رسم للشعراء طريقهم التي يجب أن يسلكوها في قصائدهم وأشعارهم، إلا أنه ظلّ على وفائه للنقد الجاهلي، من حيث اتكائه على الذوق الفطري، وقيامه على الطبع والسليقة، مع ميله للسهولة والوضوح.

ولما جاء العصر العباسي ظهرت طوائف تنظر في الأحكام النقدية وتناقشها، وتضع المؤلفات النقدية، وهي: طائفة الأدباء من شعراء وكتاب، وطائفة اللغويين كالأصمعي، وطائفة المتكلمين، وكان لكل منها إسهام واضح في تطوير أمور النقد والبلاغة.

وفي هذا العصر بدأت أقلام النقاد تخط المصنفات النقدية على أسس، ووفق منهجيات ورؤى متنوعة المشارب والمقاصد. فظهرت بدءا من القرن الثالث مؤلفات تعد مصادر قيّمة على امتداد عصور النقد الأدبي العربي.

وقد ساعد العرب على بلوغ تلك الدرجة من التأليف المنهجي والتنويع في الاتجاهات والأهداف عدة أسباب منها:

* اتساع الرقعة الجغرافية للعرب، ما سمح لهم بالامتزاج بباقي الثقافات، والاطلاع على آداب الشعوب الأجنبية ومنتجاتها الفكرية على غرار الهند وفارس واليونان.
* الاستقرار في المدن والحواضر، وإنشاء دور الكتب والمكتبات، مع توفر وسائل الكتابة وانتشار القراءة، ونشاط حركة العلم خاصة وأن طلب العلم مبدأ شرعي دعا إليه الإسلام وشجع عليه.
* تشجيع الحكام وإنشاء بيت الحكمة في بغداد، وازدهار حركة الترجمة، وتخصيص ميزانية معتبرة للعلماء وطلبة العلم، وإثارة المنافسة بين مختلف طبقات العلماء.
* ظهور الصراعات الفكرية، واختلاف الناس إلى مذاهب وطوائف، وما تطلبه الأمر من كثرة التأليف، والتسلح بالآراء التي تخدم المواقف.
* نشاط حركة الشعر والشعراء، واختلاف المذاهب والأساليب الأدبية، وازدهار الأدب بفنونه الشعرية والنثرية على حد سواء.
* ازدهار العلوم العربية من نحو، وصرف وبلاغة، وعلم العروض، والفلسفة، والمنطق وغيرها مما أضاف للنقاد مزيدا من المعايير والمقاييس.

**ج- جغرافيته في المشرق والمغرب:**

شمل ازدهار النقد واتساع حركة التأليف المشرق والمغرب والأندلس. وعلى امتداد عصور طويلة ظهرت مصنفات نقدية عربية اعتنت بقضايا الشعر والأدب، وشكلت تراثا نقديا غنيا.

ففي القرن الثالث ظهر كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي، و كتاب (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) للجاحظ، و كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة.

وفي القرن الرابع ألف ابن طباطبا (عيار الشعر)، وقدامة بن جعفر (نقد الشعر)، والآمدي (الموازنة)، والقاضي الجرجاني (الوساطة).

وفي القرن الخامس الهجري ظهر النقد البلاغي على يد عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة).

كما ظهر النقد في المغرب والأندلس متأثرا بالنقد في المشرق، ومن المؤلفات ذات الشهرة في المغرب (العمدة) لابن رشيق، و(الممتع في صنعة الشعر وعمله) لعبد الكريم النهشلي، و(مسائل الانتقاد) لابن شرف القيرواني، و(المقدمة) لابن خلدون.

ومن كتب الأندلسيين: (رسائل ابن حزم) لابن حزم، و(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام، و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني وغيرها من الكتب التي سيتم تفصيل مضمونها وما حوته من قضايا نقدية في المحاضرة التالية.

**المصادر والمراجع:**

1- عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط3، 1986.

2 - إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، الأردن، عمان، ط 1، 1993.  
3- الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط 1، 1996.  
4 - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، دار الآثار للنشر، ط 1، 2010.

5- ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م، 1426ه.  
6- القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، ط1، 1998.  
7- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط1، 2005.  
8- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، ط1، 1995.

9- قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ط1، 2003.

10- مصطفى عبد الرحمان إبراهيم: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، مصر، 1419ه، 1998م.

11- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة 1996.